مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(رومية ٥:١-١٠)

يا إخوةُ إذ قد بُرِّرنا بالإيمان فلنا سلامٌ مع اللهِ بربِّنا يسوعَ المسيح* الذي به حصلَ أيضاً لنا الدخولُ بالإيمان إلى هذه النعمةِ التي نحنُ فيها مُقيمون ومفتخِرون في رجاءِ مجدِ الله* وليس هذا فقط بل أيضاً نفتخِرُ بالشدائد عالمينَ أن الشِدَّةَ تُنشِئُ الصبرَ* والصبرُ يُنشِئُ الإمتحانَ والإمتحانُ الرجاءَ* والرجاءُ لا يُخزي. لأنَّ محبَّةَ اللهِ قد أُفيضَت في قلوبنا بالروحِ القدس الذي أُعطيَ لنا* لأنَّ المسيحَ إذ كُنَّا بعدُ ضُعفاءَ ماتَ في الأوانِ عن المنافقين* ولا يكادُ أحدٌ يموتُ عن بارٍّ. فلعلَّ أحداً يُقدِمُ على أن يموتَ عن صالِح* أمَّا اللهُ فيَدُلُّ على محبَّتِهِ لَنا بأنَّهُ إذ كنَّا خطأةً بعدُ* ماتَ المسيحُ عنَّا. فبالأحرى كثيراً إذ قد بُرِّرنا بدمِهِ نخلُصُ بهِ من الغضب* لأنَّنا إذا كنَّا قد صولِحنا معَ اللهِ بموتِ ابنه ونحنُ أعداءٌ فبالأحرى كثيراً نخلُصُ بحياتهِ ونحنُ مصالَحون.

حول الرسالة

في رسالة اليوم يعلّمنا بولس أنّ السلام والرجاء هما عطيّتا محبة الله وأنّ محبة الله هي منبع الحياة والخلاص.

«إذ قد بُرِّرنا بالإيمان فلنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح».في هذا المقطع يتكلّم بولس بصيغة الجمع: «إذ قد بُرِّرنا» وهو يقصد جميع الذين حصلوا على التبرير الذي أُعلن عنه. وحديثه موجّه إلى كل إنسان وهو يحاول أن يسبر غور وعي المؤمنين الذاتي. فالوقت الحاضر هو وقت الإيمان وهو خاصة وقت الإمتحان. لقد تمّت المصالحة بين الله والإنسان وحصل الإنسان على «السلام مع الله بربنا يسوع المسيح» وهذا السلام هو عطية الله التي وُعدنا بها في حدث مجيء المسيح. لكن يجب ألاّ نخلط بين السلام وبين الراحة بمعنى أن نستكين إلى النصر الذي حقّقه لنا يسوع. فالسلام هو السلام الأخروي، السلام الآتي الذي نتّجه نحوه باستمرار والذي هو، بجوهره، حاضرٌ دائماً بوساطة يسوع المسيح. «السلام مع الله» هو هذه العلاقة الأخروية التي بإمكاننا أن نستمتع بها منذ الحاضر بما أننا بُرِّرنا. السلام لم يعد إذاً شيئاً يصبو إليه الإنسان بل صار حقيقة واقعة وبالتالي رجاء الإنسان بالسلام هو رجاء حقيقي وليس خيالياً. لذلك يجب على مسيحيي اليوم أن يجعلوا هذا جزءاً من رسالتهم وأن يكرّسوا أنفسهم للعمل من أجل هذا السلام.

السلام مع الله حصل بربنا يسوع المسيح «الذي به حصل أيضاً لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مُقيمون». هذه النعمة هي العلاقة السلامية مع الله وكل الذين بُرِّروا مدعوون إلى اتخاذ موقف يعبّرون فيه عن شكرهم لمن دعاهم إلى الإيمان فدخلوا في النعمة.

العدد ٢٥/٢٠٠٤
الأحد ٢٠ حزيران
تذكار القديس الشهيد في الكهنة مثوديوس أسقف بطارُن
اللحن الثاني
إنجيل السَحَر الثالث

بعد عطية الإيمان يأتي الرجاء ومن تبرّر بإمكانه أن يفرح بهذا الرجاء دون خطر الغرور الفارغ لأنّ الله يجعل الرجاء ممكناً للذين يؤمنون بالمسيح يسوع ويعتمدون عليه كلياً. و«مجد الله» هو موضوع الرجاء الذي نتجه إليه في المستقبل.إنّ حالة التبرير التي حصلنا عليها بالمسيح يسوع تجعل فينا تطلّعاً أخروياً متجهاً نحو المستقبل لكنّ اشتراكنا في المجد، كونه موضوع الرجاء،ليس مجرد شيء سيأتي. إنه موجود بالقوة نتيجة عمل

الإنجيل

(متى ٦: ٢٢-٣٣)

قال الربُّ سراجُ الجسدِ العينُ. فإنْ كانت عينُك بسيطةً فجسدُك كلُّهُ يكونُ نيّراً* وإن كانت عينُك شرّيرةً فجسدُك كلُّهُ يكونُ مُظْلماً. وإذا كان النورُ الذي فيك ظلاماً فالظلامُ كم يكون* لا يستطيع أحدٌ أنْ يعبُدَ ربَّين لأنَّهُ إمَّا أنْ يُبغِضَ الواحِدَ ويُحِبَّ الآخَرَ أو يلازِمَ الواحِدَ ويَرْذُلَ الآخر. لا تقدرون أن تعبُدوا اللهَ والمالَ* فلهذا أقولُ لكم لا تهتمُّوا لأنفسِكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادِكم بما تلبَسون* ألَيستِ النفسُ أفضلَ مِنَ الطعامِ والجسَدُ أفضلَ من اللباس* أنظروا إلى طيور السماءِ فإنَّها لا تزرعُ ولا تحصِدُ ولا تخزُنُ في الأهراءِ وأبوكم السماوي يَقوتُها. أفلستم أنتم أفضلَ منها* ومَن منكم إذا اهتمَّ يقدِرُ أنْ يَزيدَ على قامتهِ ذراعاً واحدة* ولماذا تهتمُّونَ باللباس. اعتَبِروا زنابقَ الحقلِ كيف تنمو. إنَّها لا تتعبُ ولا تَغْزِلُ* وأنا أقولُ لكم إنَّ سليمانَ نفسَهُ في كلِّ مجدِهِ لم يلبَسْ كواحدةٍ منها* فإذا كان عشبُ الحقلِ الذي يوجَدُ اليومَ وفي غدٍ يُطرَحُ في التنُّورِ يُلبِسهُ اللهُ هكذا أفلا يُلبِسُكم بالأحرى أنتم يا قليلي الإيمان* فلا تهتمُّوا قائلين ماذا نأكلُ أو ماذا نشربُ أو ماذا نلبَسُ*

المسيح. لهذا السبب يمكن للرجاء أن يكون فخراً وفرحاً وهذا النوع من الفرح يجد جذوره في عمل يسوع المسيح الخلاصي.

الشدائد هي من ميزات حياة المسيحي،وإنْ كان الإفتخار بالرجاء في الإشتراك بمجد الله جزءاً من حياة المسيحي فإنّ الإفتخار بالشدائد والآلام هو أيضاً جزء هام منها. والآلام ليست الإضطهادات من أجل الإيمان فقط بل هي كل الآلام التي يتوسلها الموت ليسدل ظلّه الثقيل على حياتنا: الخوف والقلق على المستقبل والخيبات والآلام والأمراض وأزمنة الضيق وكل المتاعب التي تحفل بها الحياة والتي بجب أن نقبلها كعطية من الله. هذا يعني أنّ الآلام بالنسبة للمسيحي ليست مجرد أمر يتغلّب عليه بل هي عطية وواجب من واجبه أن يتقبّلهما. هذه الآلام ليست سهلة التحمّل على المسيحي وهو لا يتحمّلها أكثر من غير المسيحي، لكنّ المسيحي يستطيع، بإيمانه، أن يجعل آلامه في سياق لا يعرفه غير المسيحي. أما المفارقة الكبيرة فحين يصف بولس موقف المسيحي من الألم. المسيحي يتقبّل الآلام بفرح. بالطبع هذا الكلام لا يعني أنّ المسيحي يفتخر بالآلام التي يختبرها بل يعني أنه يقبلها بنور يسوع المسيح والفرح في هذا المجال لا يتضمّن أي شعور بالإفتخار بالنصر الفارغ.

«ولا يكاد أحدٌ يموت عن بار فلعل أحداً يقدم على أن يموت عن صالح؟» هذه الآية تلقي الضوء على طبيعة ذبيحة المسيح غير الإعتيادية: لقد بذل حياته من أجلنا بينما نستشف من العلاقات البشرية موقفاً آخر. فمن غير الطبيعي أن يتألم إنسان من أجل غيره. أما المسيح فقد مات عنا و«كنا خطأة بعد». هذا يُعيدنا إلى الكلام على الرجاء: «الرجاء لا يخزي لأنّ محبة الله قد أُفيضت في قلوبنا بالروح القدس الذي أُعطي لنا». إنّ الصبر ينشئ الإمتحان والإمتحان يُنشئ الرجاء والرجاء يتم في الخلاص الآتي، الخلاص من غضب الله. ويذكّرنا بولس مرة أخرى أنّ نظرتنا إلى المستقبل ترتكز على الواقع الحاضر لوجودنا الذي بُرّر بدم المسيح: «إذ قد بُرّرنا بدمه نخلص به من الغضب».عملية التبرير تمّت «بدمه»، بتقدمة المسيح حياته ذبيحة من أجلنا. وبموته نلنا الخلاص وتمّت المصالحة مع الله.

في الآية الأخيرة من هذه الرسالة نلاحظ العلاقة بين موت المسيح وبين الخلاص الأخروي من منطلق المصالحة مع الله. فقد انتصر موت ابن الله على العداوة بين الإنسان والإله فحصلت المصالحة وتمّ الخلاص. «لأنا إذ كنا قد صولحنا مع الله بموت ابنه ونحن أعداء فبالأحرى كثيراً نخلص بحياته ونحن مصالحون». نلاحظ هنا المقابلة بين موت المسيح وحياته «كوسيلة» في مسيرة الخلاص، مع العلم أنه لا يمكن فصل الإثنين إطلاقاً لأنّ حياة يسوع، بموته، تدخل فينا وتصبح حياتنا: «... لأنّ الموت الذي ماته قد ماته للخطيئة مرة واحدة والحياة التي يحياها فيحياها لله، كذلك أنتم أيضاً إحسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطيئة ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا» (رو ٦:١٠-١١).

القديس نيقولا كاباسيلاس

تُعيِّد الكنيسة المقدَّسة في ٢٠ حزيران للقديس نيقولا كاباسيلاس الذي وُلد سنة ١٣٢٢ في تسالونيكيا لعائلة عريقة في النسب والإيمان، لا سيما لجهة أمه. تلقى أوائل تربيته

فإنَّ هذا كلَّهُ تطلُبهُ الأُمم. لأنَّ أباكم السماويَّ يعلمُ أنَّكم تحتاجون إلى هذا كلِّهِ* فاطلبوا أولاً ملكوتَ اللهِ وبرَّهُ وهذا كلُّهُ يُزادُ لكم.

تأمل

انه يجب علينا أن نترك الاهتمام بزينة أجسادنا ونبتعد عن الأمور التي تنجس نفوسنا. فإننا نرى الآن جماعةً من المؤمنين يتناظرون عند الذهاب إلى الكنيسة ويتفاخرون بدخول الحمَّام ولبس الثياب الفاخرة والتضمُّخ بالطيوب والأعطار ونحو ذلك ويغفلون عن زينة النفوس الناطقة. فإن قلت أفلا يجوز الاهتمام بتنظيف الأجساد. أجبتك نعم ولكن ليس بالماء وحده بل إن أردت أن تغسل فمك نقيًّا فيجب أن تصونه من الهزل والسفاهة والنميمة والكذب والشتم والتجديف والحلف الكاذب وتزينه بتلاوة المزامير والتسابيح وقراءة الكتب الروحيَّة والصدق والإرشاد وما أشبه ذلك. وإلاَّ فما بالك تحتمل الأتعاب باطلاً إذ تجتهد في تنقية الفم واللسان بالمياه وهما متدنّسان بأقذار الخبائث. وهكذا أقول في تطهير اليدين والرجلين وظاهر البدن كله. فينبغي أن تبعدها عن نجاسات السرقة والخيانة والسعي لتحصيل مقاصد الفسق والظلم

الروحية على يد أحد ألمع الآباء الروحيين، دوروثاوس فلاتوس تلميذ القديس غريغوريوس بالاماس،أسقف تسالونيكيا بين العامين ١٣٧١ و١٣٧٩. منذ حداثته، وبتأثير ما تلقاه من تعاليم روحية، بات كاباسيلاس عشير الجماعات العلمانية التي كانت تلتئم لِتَتَعلّم ممارسة الصلاة القلبية، صلاة يسوع، بإمامة القديس إيسيذوروس بطريرك القسطنطينية العتيد.

في ما يختص بثقافته الدنيوية، درس القديس كاباسيلاس مبادئ الفلسفة والأدب والخطابة على خاله نيلُس كاباسيلاس، ثم انتقل إلى القسطنطينية ملتحقاً بمدرستها الفلسفية الذائعة الصيت آنذاك. هناك حصّل كمّاً وافراً من الثقافة الأدبية والفلسفية واستهوته أدبيات الفكر الكلاسيكي القديم، حتى أمسى ميالاً إلى فلسفة «الأنسنة» (Humanisme) التي كانت في أوج انتشارها في تلك الأيام، على بقائه أميناً في الوجدان والممارسة لتعاليم الكنيسة. للإيضاح نشير إلى أن الفكر الفلسفي المذكور ينادي بالإنسان قيمة مطلقة بحد ذاته وبسمّوه على أي «إطار خارجي»، اجتماعي أو سياسي أو حتى ديني.

أثناء إقامته في القسطنطينية برز الجدل العقائدي بين القديس غريغوريوس بالاماس والراهب اللاتيني برلعام، حول إمكانية تألّه الإنسان بالنعمة الإلهية غير المخلوقة.تابع كاباسيلاس الجدالات الدائرة باهتمام خصوصاً أنها مسّت فيه بنيتيه الثقافيتين: الدينية والفلسفية. اتّقدت جذوة النعمة الإلهية في قلبه ففهم أن الإنسان خُلق ليصبح بالمسيح إلهاً، هذا التألّه الذي هو غاية الحياة المسيحية. بيد أن هذا المنعطف الروحي اللافت لم يثنه عن مضاعفة الاهتمام بمشاكل زمانه السياسية والاجتماعية، حتى صار من الوجوه البارزة. سنة ١٣٤١، وإثر وفاة الإمبراطور أندرونيكوس الثالث، اشتعلت في الإمبراطورية حرب أهلية جارفة على خلفية تنازع العرش، كانت أدمى محطاتها في تسالونيكيا حيث كان قديسنا مقيماً حينها. هناك جعل القديس نفسه صلة التواصل ومرسال التفاوض بين أطراف النزاع في حماسة بالغة كادت تكلفه حياته في إحدى أسوأ المجازر. بقي قديسنا في تسالونيكيا حتى العام ١٣٤٧ يتأمل في أسباب الحرب الأهلية وينشئ البحث الفكري تلو الآخر حول جذور وانعكاسات الظلم والإستبداد وانعدام العدالة الإجتماعية.

خمدت الحرب الأهلية باعتلاء يوحنا السادس السدَّة الإمبراطورية، فاستدعى حليفه نيقولا كاباسيلاس ليكون مستشاراً خاصاً له في أدق شؤون الدولة وأبلغها حساسية. برغم انشغاله بالشأن العام، ما انفك القديس كاباسيلاس يضع أبحاثاً ومؤلفات عديدة في فلسفة المجتمعات وإنسانها. تحوّله التدريجي نحو الشأن الكنسي بدأ سنة ١٣٤٧ عندما انضم إلى حاشية القديس غريغوريوس بالاماس المنتخب رئيساً لأساقفة تسالونيكيا. بُعيد الإنتخاب تنكّر شعب المدينة لراعيه الجديد فارتحل بالاماس مع كاباسيلاس إلى جبل آثوس حيث انقطعا سنة كاملة إلى الصلاة والتأمل والهدوئية. تسالم المتعادون في تسالونيكيا وقُمع المفتنون، فعاد القديسان إلى المدينة وتسلَّم القديس غريغوريوس كرسيه. وسنة ١٣٥١ عُقد مجمع أدان مناهضي الهدوئية وأعلن لاهوت التألّه الذي ما انفك يدافع عنه بالاماس عقيدة رسمية في الكنيسة. خلال المجمع المذكور برز كاباسيلاس مناصراً لبالاماس

الخطف وأن تغسلها بمياه الصدقات والإعانة للضعفاء والتفريج عن المتضايقين وأمثال هذه من الأعمال الصالحة. ويجب أن تعلم ان اللسان للنفس بمنزلة الفرس للراكب. فكما ان الفرس إذا اهتمَّ به الراكب كما ينبغي وضبطه باللجام ونبَّهه بالمهماز وعلَّمه أن ينقل خطواته على النظام الحسن ويمشي مشيةً مرتَّبة أمِن به من القلق والعثار وخطر السقوط. فاللسان أيضاً إذا ضبطه الإنسان وقيَّده عن الكلام الذي لا يليق وعلَّمه أن يلهج بالتسابيح والأقوال الصالحة فإنه يكون أهلاً لحلول الروح القدس. إسمع كلام سيدنا انه من كلامك تتبرَّر ومن كلامك يُحكَم عليك.ويعقوب الرسول يقول ان اللسان عضوٌ صغير من أعضاء الجسد وهو ينطق بالعظائم لأن كل طباع السباع والحيوانات وطيور السماء وسمك البحر تخضع لطبيعة البشر إلاَّ اللسان فإنه شرٌّ لا يُطاق وهو مملوءٌ من سمّ الموت وملبَّسٌ بالصداً إذ به نبارك الله الآب وبه نلعن البشر الذين خلقهم الله على صورته ومثاله. فسبيلنا أن نجتهد في تطهير نفوسنا الباقية لا أجسادنا البالية لنستحقَّ المديح من سيدنا القادر على خلاص نفوسنا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وأعلن انفتاحه المبدئي على فكرة مجمع وحدة مع اللاتين، على أن لا تتخلله أية مساومات على عقائد الإيمان الأرثوذكسي.

بعد عودة الصدامات الدامية سنة ١٣٥٣ وتردد أصدائها في الكنيسة، اعتزل كاباسيلاس نهائياً السياسة والشأن العام لينصرف إلى التأمل في سر المسيح المعاش في الكنيسة، فتنقل بين العديد من الأديرة التي كانت في زمانه منارات روحية لكن دون أن يترهبن، بقصد التعمّق في مسلكه الهدوئي وطلباً للمزيد من التطهّر والاستنارة. في سنوات تألّقه الروحي ملأ صيته أرجاء الإمبراطورية وبات مرشداً بل وأباً روحياً للكثيرين من كبار القوم، على رأسهم الإمبراطور عمانوئيل. مع ذلك آثر كاباسيلاس الاختلاء بعيداً عن صخب العالم، منكباً على تأليف مصنّفيه اللاهوتيين النفيسين: شرح القداس الإلهي والحياة في المسيح. رقد القديس بسلام بالرب في تسعينات القرن الرابع عشر دون أن تبقى لنا أية شهادات عن أواخر أيامه.

في كتابه «الحياة في المسيح»، يبيّن القديس نيقولا كاباسيلاس أن المسيحي يقتبل الحياة الحقيقية بالأسرار المقدَّسة التي تؤسسه في المسيح: العماد، الميرون والإفخارستيا. ومتى نما المؤمن روحياً باقتناء الفضائل وعيشها، يكتشف أن المسيح الرب نفسه يأتي إليه ويحلّ فيه، بالروح القدس، وينميه إلى ملء قامته، حتى تحقيق غاية الحياة المسيحية كلها وهي الاتحاد الكامل بالله. فالمسيح بتجسده أزال جدران العداوة والتضاد بين السماء والأرض، أعاد في ذاته الشركة والإلفة بين الطبيعتين المخلوقة وغير المخلوقة، وفتح الحياة الأبدية للمؤمنين به ملكوتاً يبدأ الآن، في هذه الحياة، في حياة الكنيسة. ففي الكنيسة ينسكب المسيح انسكاباً، بالأسرار الإلهية، في كل عضو من أعضاء جسده (أبناء الكنيسة)، كما النور الذي يدخل من النافذة فيضيء الغرفة كلها. المسيح يسكب ذاته في أعضاء جسده ليحقق لهم سره الإلهي الأعظم: عرس اتحاد الإنسان بخالقه بالنعمة التي تسبغ على الجسد الخاضع لناموس الزوال حياة أبدية ثابتة لا تزول. هنا يشدِّد القديس على أن حضور الرب فينا لا يصبح فاعلاً إلا متى آزرناه بقبولنا **الطوعي الإرادي** لعطية الله، وحفظنا بتيقظ النعمة الممنوحة كمن يحمي مصباحه من النضب وشعلته من الهواء. عملياً، يقول القديس، تتمثل حياة المسيحي في حفظ حواسه وأعضائه، والتأمل في الكرامة العظمى الممنوحة لنا من الله مجاناً. عندئذ تمسي قوى الشر عاجزة عن استمالة إنسان يعي يقيناً عظمة الحب الذي أحبنا إياه ابن الله، الذي قَبِلَ الذبح الجائر طوعاً ليجعل منا مسكناً له وأعضاء لجسده. هذا الإنسان يصبح المسيح مشتهاه الوحيد فتسهل عليه إذاك الفضائل، التي متى نما فيها تتوحد إرادته بإرادة المخلّص، فيصبح الحب الإلهي طابع حياته. هذه هي مرحلة الاشتراك في خصائص طبيعة المسيح، الإنسان الإله. هذا التأله يراه قديسنا جلياً في شخص والدة الإله الكلية القداسة، التي بطهر روحها وتطويع إرادتها كلياً لمشيئة الله اجتذبت الروح القدس فولد منها المخلّص.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb